دواوين الشعر العباسي
حتى نهاية القرن الرابع

الدكتور علي احمد الزبيدي
استاذ في قسم اللغة العربية

استهل الدكتور ناصر الدين الاسد الفصل الثاني من الباب الخامس من رسالته القيمة (مصادر الشعر الجاهلي) بقوله : ان أول ما يستوقف الباحث في دواوين القبائل هذا الحشد الهائل من أسماء كتب القبائل ودواوين شعرها الذي تزخر به بعض كتب القرن الرابع الهجري وخاصة كتابي الفهرست لابن النديم والمؤتلف والمختلف للآمدي[1] ، والفصل المذكور كما يلاحظ من هذا الاستهلال يبحث موضوع دواوين القبائل العربية في العصر الجاهلي . وبعد أن أورد الباحث الفاضل أسماء هذه الدواوين مرتبة على أحرف الهجاء ، أكد أنها لا تمثل سوى جزء مما كان للقبائل من كتب ودواوين ؟ قال : ومع هذه الوفرة العددية لدواوين القبائل التي حفظت لنا المصادر العربية أسماءها ، فهي لا تعدو أن تكون جزءاً مما ذكرت المصادر نفسها أن العلماء الرواة قد صنعوه من دواوين القبائل[2] . وبعد أن أسند ملاحظته بقول لابن قتيبه بهذا الخصوص[3] أردف قائلا : فاذا كان ذلك كذلك فما أشد حسرة الباحث في دواوين القبائل وروايتها اذا علم أن صروف الدهر لم تبق لنا الا على ديوان واحد فقط من هذه الدواوين الكثيرة التي زخرت بأسمائها المصادر العربية هو .. ديوان هذيل[4]

لقد استشهدنا بأقوال الدكتور الأسد عن دواوين الشعر الجاهلي لنبين ان التحسر أو الأسف على الدواوين الشعرية لا ينحصر في ضياع دواوين الشعر

(١) ناصر الدين الاسد ، مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٣ .
(٢) نفسه ٥٤٧ .
(٣) الشعر والشعراء ١/٤
(٤) مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٨

الجاهلي ولا دواوين القرن الأول الهجري ، بل يشمل أيضاً دواوين العهد العباسي ، على الرغم من الفوارق الكثيرة بين دواوين العهود الثلاثة والظروف العلمية والاجتماعية التي توحي بأن ضياع الشعر في العهد العباسي وجب أن يكون أقل بكثير من العصرين السابقين • والواقع انه أقل ولكن بنسبة ضئيلة لا تتناسب والخصائص الحضارية للعهد العباسي ولا تخفف من خطورة المشكلة وسعتها وعمقها ، وصروف الدهر لا تختص بعصر دون عصر بل تفترس بغوائلها كل العصور ولا سيما تلك التي يفصل بيننا وبينها زمان أطول • ومع انني قد تناولت هذه الظاهرة في شيء من التفصيل في بحوث سابقة الا اني لا أحب التعمق في هذا الموضوع قبل أن ألفت النظر الى أن كثيراً من الباحثين والمحققين من الذين اشتغلوا بالشعر العباسي عامة أو بديوان من دواوين شعرائه خاصة قد لاحظوا فداحة هذه الخسارة وتحسروا كما تحسر زملاؤهم الباحثون عن دواوين الشعر القديم ، لأن ما ضاع من دواوين شعراء القرون العباسية الخمسة كان كثيراً وكثيراً جداً • وهذا ما حدا ببعض الباحثين الى التشكي من قلة الاهتمام بدراسة أدب عهد لا يختلف اثنان في أنه أغنى العهود الأدبية السابقة على الاطلاق ، قال الاستاذ غرابناوم « كان العصر العباسي من بين عصور الشعر العربي ، أقلها حظاً من عناية الدارسين ، وما تزال العقبة الاولى التي تعترض سبيل الدرس هي الحاجة الى النصوص المحققة ، فتاريخ الأدب لا يمكن أن يكتب قبل مراجعة آثار الادباء وتقويمها • والى جانب آثار فحول الادباء ، لابد من ابراز آثار الأدباء الذين يقلون عنهم شهرة ، لأنها تمثل التيارات الأدبية المختلفة في العصر أحسن تمثيل ، وتقصيرهم ذاته يجعل لهم أهمية خاصة ، لانه يعكس بوضوح الاتجاهات الماثلة في الذوق المعاصر(٥)

والحق ان ملاحظة الضياع الهائل في دواوين الشعر العباسي أول ما يطالع المتأمل في أدب هذا العصر ، والاضطراب الواضح في القليل الذي وصل لا يخفى أيضاً على الباحث الدقيق • وعندما أشرت الى هذه الظاهرة الخطيرة

---

(٥) فون غرنباوم : شعراء عباسيون ٩

وقررت أن الشعر الذي وصل - لقلته واضطرابه - لا يساعدنا على رسم صورة صحيحة لتاريخ الشعر العباسي ثار بعض الباحثين المتعجلين وزعم أني أشكك في الشعر العباسي كما شكك طه حسين في الشعر الجاهلي ثم أعلن رفضه لهذه البديهية التي أشار اليها غربتاوم وغيره وانتهى - ولا أدري كيف - الى توثيق الشعر العباسي - هكذا - جملة وتفصيلا[٦] ناسياً ان ما وصل الينا من هذا الشعر قليل جداً وان الذي وصل لم يسلم من أنواع العبث والانتحال والنسبة الخاطئة واضطراب النصوص والمتون .

وتعال نلقِ نظرة سريعة على كتاب الفهرست لابن النديم المؤلف في القرن الرابع الهجري ونطلع على العدد الكبير الذي ذكره من دواوين شعراء القرنين الثاني والثالث وعدد أوراق كل ديوان ولنقارن هذا العدد بما وصل الينا من دواوين مطبوعة ومخطوطة . ولنلقِ نظرة عاجلة أخرى على أسماء مئات الشعراء الذين ذكرهم الثعالبي في يتيمة الدهر والباخرزي في دمية القصر والعماد الاصفهاني في خريدة القصر وياقوت في معجم الأدباء وغيرهم من المصنفين، ثم نوازن ذلك كله بالدواوين القليلة الموجودة الطبوع منها والمخطوط فماذا سنجد ؟ ان ما سنجده يغني عن الدخول في جدل عقيم حول هذا الموضوع ، فضياع الدواوين الشعرية كان باعداد كبيرة جداً ؛ فالخسارة اذن عظيمة فادحة لا ندري كيف نتلافاها ، ولأن المشاكل الناجمة عن هذا الضياع لا تثير الحسرة في نفوس الباحثين فقط وانما تصدمهم صدمة عنيفة .

لقد ذكر ابن النديم دواوين ٤٤٩ شاعراً من المكثرين المشهورين والمقلين المعروفين والمغمورين والنساء الشواعر من الحرائر والمماليك (بقصد الاماء) وكان بينهم ٣٢ شاعراً ممن جمعوا بين الكتابة والشعر نقل أسماءهم عن كتاب ابن الحاجب النعمان[٧] . وكانت طائفة منهم من شعراء القرن الرابع وهم الذين

---

(٦) انظر : اتجاهات الشعر العربي القرن الثاني للهجرة لمحمد مصطفى هداره دار المعارف ١٩٦٣ الباب الثاني ص ١٢٣ - ١٤٢ .

(٧) بقصد ابن النديم كتاب « أشعار الكتاب » لابن الحاجب النعمان الذي ذكره في موضع آخر وأشار الى أنه كان يمتلك خزانة كتب عظيمة . الفهرست ١٩٩ . (طبعة الاستقامة) .

وصفهم « بالشعراء المحدثين ممن ليس بكاتب بعد الثلثمائة الى عصرنا هذا »[٨].

ولا نريد أن ندرج هنا أسماء جميع اولئك الشعراء وعدد اوراق دواوينهم المذكورة لان المقام لا يتسع لهم جميعاً في هذا البحث . لهذا سنكتفي بذكر المشهورين والمكثرين الذين تراوح عدد أوراق دواوينهم بين السبعين والخمسمائة ورقة وأكثر ، كما سنذكر نفراً من الشعراء المعروفين الذين لم تتجاوز دواوينهم الخمسين ورقة بصرف النظر عن تحديد مدى شاعريتهم وشهرتهم .

وسنرتب الاسماء على حروف الهجاء توخيا لحسن التنظيم أما الورقة فهي السليمانية التي أشار اليها ابن النديم بقوله :

انما عنينا بالورقة أن تكون سليمانية ، ومقدار ما فيها عشرون سطراً ، أعني في صفحة الورقة [٩] .

١ ـ أبان اللاحقي مكثر [١٠]

٢ ـ أبو الفرج الببغا ٣٠٠ ورقة

شاعر مطبوع شامي من شعراء سيف الدولة

٣ ـ ابن بسّام ويعرف بالبسامي ١٠٠ ورقة

٤ ـ بشر بن المعتمر مكثر [١١]

٥ ـ بشّار بن برد ألف ورقة [١٢]

٦ ـ بكر بن النطّاح ١٠٠ ورقة

٧ ـ أبو الحسن التميمي ٥٠٠ ورقة

٨ ـ جعفر بن عفّان الطائي ٢٠٠ ورقة

٩ ـ جعفر بن قدامه ١٠٠ ورقة

١٠ـ الحسين بن الضحاك ١٥٠ ورقة

١١ـ الحسين بن مطير ١٠٠ ورقة

١٢ـ أبو حكيمه راشد بن اسحاق ٧٠ ورقة[١٣]

---

(٨) الفهرست ٢٣٣ ـ ٢٤٨ (الاستقامة) .

(٩) نفسه ٢٣٣ واضح من قوله أن الورقة ذات وجهين او صفحتين فى كل منها عشرون سطرا فاذا قال : شعر فلان خمسون ورقة يعني مائة صفحة .

(١٠) أنظر ملاحظة الفهرست ٢٣٨ .

(١١) انظر ملاحظة الفهرست ٢٣٦ وقد سبق بشر أبان اللاحقي فى نظم الشعر التعليمي .

(١٢) لم يعثر على ديوانه كاملا وما نشره ابن عاشور فى ثلاثة اجزاء هو الجزء الاول منه وينتهي بحرف الراء . انظر الفهرست ٢٣٣ .

(١٣) لهذا الشاعر اهمية خاصة فى دراسة شعر المجون والسخف فى القرن الثالث الهجري انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

١٣- عمرو الخاركي ٥٠ ورقة [١٤]
١٤- خالد الكاتب ٢٠٠ ورقة
١٥- الخبز أرزي نصر بن أحمـــد ٣٠٠ ورقة
١٦- أبو يعقوب الخريمي ٢٠٠ ورقة
١٧- ابن الرومي مكثر [١٥]
١٨- ابن أبي زرعة الدمشقي ٣٥٠ ورقة
١٩- ابن الزمكون الموصلي ٣٠٠ ورقة
٢٠- سلم الخاسر ١٠٠ ورقة
٢١- أبو الحسن السلامي ٥٠٠ ورقة
٢٢- أبو طاهر سندوك ٥٠٠ ورقة
٢٣- محمد بن عبدالله السنوي ١٠٠ ورقة
٢٤- أبو الشمقمق ٧٠ ورقة
٢٥- مدرك بن محمد الشيباني ٢٠٠ ورقة
٢٦- أبو الشيص ١٥٠ ورقة
٢٧- صالح بن عبدالقدوس ٥٠ ورقة
٢٨- العتابي ١٠٠ ورقة
٢٩- أبو العتاهيه مكثر
٣٠- العطوي ١٠٠ ورقة
٣١- عبدالله بن أبي عُيينه ١٠٠ ورقة
٣٢- أبو بكر العلاني ٤٠٠ ورقة
٣٣- العكّوك ١٥٠ ورقة
٣٤- علي بن الخليل ١٠٠ ورقة
٣٥- عماره بن عقيل ٣٠٠ ورقة
٣٦- العماني الراجز ٥٠ ورقة
٣٧- عمرو الوراق ٥٠ ورقة
٣٨- محمد بن أبي عُيينه ١٠٠ ورقه
٣٩- الفضل الرقاش ١٠٠ ورقة
٤٠- اسمٰعيل القراطيسي ٩٠ ورقة
٤١- عبدالله بن المبارك ١٠٠ ورقة
٤٢- أبو سعد المخزومي ١٥٠ ورقة
٤٣- عبدالصمد بن المعذل ١٥٠ ورقة
٤٤- محمد بن مناذر ٩٠ ورقة
٤٥- مطيع بن أياس ١٠٠ ورقة
٤٦- أبو منصـــور بن أبي براك ٢٠٠ ورقة [١٦]
٤٧- منصور بن سلمه ١٠٠ ورقة
٤٨- أبو العباس الناصر ١٥٠ ورقة
٤٩- ابن نباته ٤٠٠ ورقة
٥٠- أبو الحسن بن النمح ٥٠٠ ورقة
٥١- أبو حيّه النميري ٥٠ ورقة
٥٢- علي بن عباس النوبختي ٢٠٠ ورقة

---

(١٤) لهذا الشاعر اهمية خاصة فى دراسة شعر الخمر فى القرن الثاني وقد زعموا ان ابا نواس اخذ عنه وتأثر به انظر طبقات ابن المعتز ٣٠٦ .

(١٥) لم ينشر ديوانه كاملا انظر ملاحظة الفهرست ٢٤١ .

(١٦) صنفناه على كنيته قال ابن النديم : هذا استاذ السري بن احمد الكندي (السري الرفاء) شاعر مجود يقال ان الســري سرق شـعره وانتحله الفهرست ٢٤٦ .

٥٣ـ أحمد بن عبدالله النوبختي ١٠٠ ورقة

٥٤ـ الحسن بن وهب ١٠٠ ورقة

٥٥ـ ابراهيم بن هرمه ٢٠٠ ورقة(١٧)

لقد أوردنا هذه الدواوين على سبيل المثال مع ما في هذا الترتيب من مآخذ اذ تأخر ذكر ديوان ابن هرمه مع انه من أوائل مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، وتقدم ذكر آخرين من مع انهم من شعراء القرن الرابع • وغرضنا تسليط الأضواء على جزء من مشكلة الدواوين العباسية حتى عصر ابن النديم أو الوقت الذي ألف فيه كتاب الفهرست اذا أردنا الدقة في التعبير • ونأمل اعداد تائمة شاملة لدواوين الفترة نفسها في ملحق خاص لكي لا تثقل بها هذا الفصل ولو تأملنا جميع الذين ذكرهم ابن النديم ؛ سنلاحظ انه أغفل كثيراً من الشعراء ممن ورد ذكرهم في الأغاني وطبقات الشعراء لابن المعتز أو في كتاب الورقة لابن الجراح أو أشار اليهم المرزباني في معجم الشعراء وفي الموشح كأشجع السلمي وحماد عجرد وديك الجن وعلي بن الجهم وغيرهم من المشهورين •

ومثل هذا الاغفال متوقع ، اذ ليس من المحتمل أن يذكر ابن النديم دواوين جميع شعراء القرون العباسية الثلاثة ، لكثرتهم وتعذر ذكرهم كلهم مع دواوينهم في كتاب واحد ، ولصعوبة اجتماع كل الدواوين في خزانة كتب واحدة • لقد ذكر ما استطاع الاطلاع عليه في الخزانة التي عمل فيها والذي رآه مسطوراً في الكتب فنقله كما فعل حين أخذ أسماء الكتاب الشعراء عن كتاب النعمان بن الحاجب•

ان مقارنة هذا العدد الكبير من الدواوين بما تملكه من مطبوعاتها ومخطوطاتها يوضح لنا الخسارة الفادحة التي نزلت بتراثنا الشعري العباسي ، ويدفعنا الى طرح عدد من الاسئلة ؛ فما مقدار ما وصل الينا من دواوين الفترة ، وما أسباب بقاء ما وصل واختفاء أو ضياع ما لم يصل ؟ ولماذا كان هذا العدد الضئيل الذي وصل يخص في الغالب كبار الشعراء ومشاهيرهم ؟ هل الشهرة

---

(١٧) قال ابن النديم وشعره مجرد نحو مائتي ورقة ومن صنعة ابى سعيد السكري نحو خمسمائة ورقة وقد صنعه الصولي فلم يأت بشيء الفهرست ٢٣٣ •

وحدها هي التي تحكمت في بقاء هذا الديوان وفقدان ذاك؟ وما هي الفوارق بينها وبين عمليات جمع وتصنيف دواوين الشعر الجاهلي والاسلامي التي سبقتها ؟ ومتى شرع علماء الأدب والمعنيون بالشعر يشتغلون بدواوين الشعر العباسي الاول كدواوين مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ؟ ومن هم اولئك العلماء والأدباء وما مدى نشاطهم في هذا الميدان ؟ ثم ما هي الوسائل والأدوات التي هيأت لهم جمع الشعر واعانتهم على تدوينه ؟ وما هي الطرق والمناهج والاساليب التي اتبعوها حتى أخرجوا ما أخرجوا من دواوين ؟

مثل هذه الاسئلة تدور في ذهن الباحث وتدفعه الى البحث عن الأجوبة الصحيحة ، رغم كثرة المصاعب والعقبات واحتمال تشعب الموضوع الى نواحي اخرى ذات صلة بتطور حركة التدوين والتأليف من جهة وبتطور الاحوال الفكرية والعلمية والثقافية العامة من جهة اخرى .

وما دمنا قد شرعنا بجرد جزيء للدواوين المفقودة فلنردف به جرداً آخر أقل صعوبة يحصى ما لدينا من دواوين أو مختارات شعرية مطبوعة قبل أن تقوم باحصاء المخطوطات المبعثرة في المكتبات العامة والخاصة . والذي لدينا من هذا الموضوع كما يلي :

١ ـ ديوان بشار بن برد وهو ديوان ناقص لا يتجاوز حرف الراء

٢ ـ المختار من شعر بشار للخالدين وشعر بشار فيه قليل

٣ ـ ديوان ابي العتاهية ناقص لا يمثل غير جزء من شعره وقد ظهر في طبعتين نشر الأولى لويس شيخو والثانية الدكتور شكري فيصل والطبعتان لا تحويان كل شعره

٤ ـ ديوان أبي نواس ظهر بعده طبعات آخرها بتحقيق فاجنر

٥ ـ ديوان مسلم بن الوليد تحقيق سامي الدهان وقد نشر في اوربا قبل ذلك

٦ ـ ديوان العباس بن الأحنف تحقيق عاتكة الخزرجي وهي أحدث طبعاته وأحسنها .

٧ ـ ديوان دعبل الخزاعي ناقص جمع عبدالصاحب الدجيلي

٨ ـ ديوان ابي تمام عدة طبعات آخرها شرح التبريزي للديوان

٩ ـ ديوان علي بن الجهم تحقيق المرحوم خليل مردم

١٠ـ ديوان البحتري عدة طبعات آخرها بتحقيق المرصفي

١١ـ ديوان ابن المعتز تحقيق بعض المستشرقين

١٢ـ مجموعة من شعر ابن الرومي في ثلاثة أجزاء نشرها كامل كيلاني .

١٣ـ مجموعة صغيرة من شعر صالح بن عبدالقدوس (م ١٦٧) ظهرت في نشرة المؤتمر التاسع للمستشرقين

١٤ـ مجموعة من أشعار مطيع بن أياس وسلم الخاسر وأبي الشمقمق ظهرت في كتاب (شعراء عباسيون)

١٥ـ أشعار الحسين بن الضحاك جمعها الاستاذ أحمد عبدالستار فراج من مصادر مختلفة

١٦ـ ديوان المتنبي عدة طبعات وشروح

١٧ـ ديوان أبي فراس الحمداني بتحقيق سامي الهان

١٨ـ ديوان كشاجم طبع ببيروت سنة ١٣١٣ هـ

١٩ـ ديوان السري الرفاء طبع في القاهرة

٢٠ـ ديوان الواواء الدمشقي بتحقيق المستشرق كراتشوفسكي تم بتحقيق سامي الدهان

٢١ـ ديوان الشريف الرضي طبع في الهند وبيروت

٢٢ـ ديوان مهيار الديلمي طبع دار الكتب المصرية

٢٣ـ روضيات الصنوبري طبع بحلب ١٩٣٢ م

٢٤ـ ديوان ابي الحسن بن طباطبا العلوي طبع في صيدا ١٣٣٢ هـ

٢٥ـ ديوان ديك الجن . جمع عبدالمعين الملوحي وزميله من المصادر طبع حمص ١٩٦٠

هذه القائمة ناقصة وقد آثرنا الوقوف بها عند أواخر القرن الرابع الهجري واقتصرنا على شعراء العراق والشام لأن دواوين شعراء مصر والمغرب العربي لم ينشر منها شيء يستحق الذكر . وقد اقتصرنا على ما ذكر لأننا لا نستهدف اعداد

قائمة كاملة بل لنلفت أنظار الباحثين الى البون الشاسع بين ما نشر من دواوين الشعر العباسي في القرون الثلاثة الاولى وما ضاع منها أو ما زال مخطوطاً ولما ينشر

وجمهور الباحثين ما يزال شديد الاهتمام بهذه القضية ولكن بعضهم لاحظها وأشار الى خطورتها كالاستاذ عبدالستار فراج الذي مرت بنا كلمته حول ضرورة جمع الأشعار العباسية . أما بصدد الدواوين فقد قال : ذكر صاحب الفهرست عدداً من شعراء الدولة العباسية ، ومقدار ما لهم من الاشعار المجموعة في أوراق[١٨]، على تقرير ان الورقة عشرون سطراً[١٩] واني لذاكر بعضهم ممن لا تعرف لهم دواوين مخطوطة حتى الآن وبعد أن ذكر الاستاذ دواوين عشرة شعراء من المشهورين نقلا عن الفهرست أردف قائلا : وقد قام بعض المستشرقين بشيء من مثل هذا الذي نطلبه ، واستنوا لنا الطريق الذي نسلكه . فكان من العجيب ألا نفعل كما فعلوا - اللهم الا ما ندر - ونحن أولي بالعناية بجمع تراثنا واحيائه وابرازه للعيان . وما تلك الدواوين الموجودة الآن الا جمع من كتب متعددة ، أو مشافهة من رواة مختلفين عنى بها بعض أدبائنا وعلمائنا السابقين . فما بالنا لا نفعل ذلك مع أن الكتب في متناول أيدينا ، والمكتبات العامة مفتوحة لتيسر الأمر على من شاء[٢٠]

وقد سبق أن أثرت انتباه الباحثين الى هذا الموضوع في المقالات التي نشرتها عن العبث والانتحال في الأدب العباسي في مجلة كلية الآداب لسنة ١٩٥٧[٢١] واستشهدت آنذاك بأقوال المعنيين بنشر الدواوين كالدكتور سامي الدهان والمستشرق الروسي كراتشوفسكي ولكني لم أتعرض لهذا الموضوع الا بالقدر الذي يتعلق بمشاكل التزوير والانتحال والنسبة الخاطئة وغيرها من ظواهر العبث بالنصوص الشعرية والعناصر الاخبارية . وأكدت بصورة خاصة على نشاط

---

(١٨) أشرنا الى موضوع الورقة السليمانية قبل قليل .

(١٩) مقدمة « اشعار الخليع » لفراج ص ٥ . القاهرة ١٩٦٠ .

(٢٠) نفسه ٦ .

(٢١) انظر المقالين المذكورين في مجلة كلية الآداب سنة ١٩٥٧ و ١٩٥٨ .

الوراقين في هـذا الباب[٢٢] ولكني عالجت الموضـوع بتفصيل أكثر في مقـدمة كتابي – زهديات أبي نواس – في معرض الكلام عن مشاكل ديوان أبي نواس ومما جاء في هذا الصدد : « ان مشاكل النصوص الشعرية التي تثيرها زهديات أبي نواس تضطر المؤرخ والمحقق الى تعميم هـذه المشاكل التاريخية ، وتوسيع آفاق البحث والتحقيق فيها . فديوان أبي نواس لا يقدم حالة خاصة فريدة ما لها من شبيه ، بل يقف أو يؤلف مثلا جيداً يعكس مشكلة الدواوين الشعرية العباسية برمتها . فنحن لا نملك المخطوطات الاولية لتلك الدواوين ، أعني النسخ الأصلية والمسودات التي كتبها الشعراء أنفسهم أو التي سجّلها بإشرافهم الكتاب والرواة من معاصريهم . وحتى النماذج الأصلية التي حرّرها رواة القرنين الثالث والرابع الهجريين لم تصل الى أيدينا نسخ جيدة موثوقة منها . وكل ما بقي لدينا من تلك الثروة الشعرية الضخمة عدد قليل جداً من المخطوطات التي جمعت أو نسخت في أوقات متأخرة كثيراً عن العصر الذي جمعت وكتبت فيه الدواوين والمختارات الشـعرية العـامة »[٢٣]

وواضح أن هذا القول يشير الى أمرين مهمين : الأول ضياع أكثر دواوين الشـعر العباسي والثاني ازدحام القليـل الباقي بالمشـكلات والعلل الشائعـة في المخطوطات والمنشورات المتأخرة ولا سيّما في الطبعات غير المحققة[٢٤] كأن تكون ناقصة لا تحوي كل شعر الشاعر كديوان بشـار بن برد وديوان ابن الرومي وديوان أبي نواس أو يكثر فيهـا الخطأ والتصحيف والبياض والنحل والنسبة الخاطئة والحذف المقصود لاغراض خلقية أو دينية أو سياسيـة أو غير ذلك مما يعـرفه المشـتغلون بتحقيق الكتب والدواوين[٢٥] والواقع ان أسـفنا على حـالة

(٢٢) انظر فصل الوارقين وتجار الكتب من كتابنا – في الادب العباسي . القاهرة ١٩٥٩ .

(٢٣) زهديات ابي نؤاس ٥ .

(٢٤) انظر « تحقيق النصوص ونشرها » لعبدالسلام هارون الطبعـة الثانية ١٩٦٥ وانظر بلاشير

Blachere: Regles Pour Editions et Traduction de Textes Arabes, Paris 1945.

(٢٥) انظر كتابنا في الادب العباسي القاهرة ١٩٥٩ .

الدواوين العباسية يتضاعف اذا تذكرنا أنّ وسائل جمعها وتقييدها وحفظها كانت متيسرة منذ وقت مبكر وان ظروف هـذا العمـل كانت أسهل بكثير من الظروف التي أحاطت بحركة تدوين التراث الشعري الجاهلي • فشعراء القرن الثاني وجدوا أنفسهم في عصر وصلت فيه حركة تدوين الشعر الى مرحلة تقرب من النضج والكمال ، فقد انتهى علماء البصرة والكوفة أو كادوا من جمع أشـعار القبـائل وتدوينها في الكتب • ونشط في هـذا الميدان كثير من البصريين كأبي عمرو بن العـلاء (م ١٥٤ هـ) وخلف الأحمر (م ١٨٠ هـ) والأصـمعي ٢١٦ هـ • ومن الكوفيين المفضـل الضبّي (م ١٦٨ هـ) وحماد الراوية م ١٥٦ هـ وأبي عمرو الشيباني وغيرهم[٢٦] وكان هذا الأخير أنشطهم جميعاً فقد روى أنه شعر نيف وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه[٢٧]

ولا موجب هنا الى الاطالة في هذا الموضوع بعد الدراسـات المفصـلة التي قام به ناصر الدين الأسـد والمستشرق بلاشير لعملية تدوين الشـعر الجاهلي • المهم أن نذكر أن الوسط الأدبي في القرن الثـاني أصبح مدركاً أهمية التدوين خيراً بأساليبه المتبعة وقتئذ ومطمئناً الى توفر المواد والأدوات اللازمة لذلك وخاصة بعد ظهور صناعة الورق وشيوع اسـتعماله[٢٨] لكن هذا لا يعني ان عادة تقييد الشعر لم تكن شائعـة قبل ذلك فقد كان النـاس يكتبون على الطوامير والرقوق والعظام واوراق البردي قبل الاسلام وبعده ثم استعملوا بعد ذلك الورق المجلوب من الصـين كما يفهم من الرواية القائلة بأن الخليـل بن أحمد أو أحد تلامذته دون كتاب العين على الورق الصيني[٢٩] •

أما الشعراء المحدثون من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية اي الطبقات

---

(٢٦) انظر مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الاسد وتاريخ الادب العربي لبلاشير وفي الادب الجاهلي لطه حسين للاطلاع على نشاط الرواة •

(٢٧) الفهرست ١٠٢ •

(٢٨) انظر مقدمة ابن خلدون (المكتبة التجارية) ٤٢١ •

(٢٩) جب• بدء التأليف النثري ، مقال في المنتقى من دراسات المستشرقين لصلاح الدين المنجد ١/١٢٩ ، ١٣٢ •

والاجيال الاخرى التي تعاقبت فقد كانوا أشد اهتماماً بتدوين انتاجهم من الشعراء السابقين • وكيف لا يصبحون كذلك وقد عاشوا في العصر الذي نشطت فيه الحركات العلمية والأدبية وتهيأت لها أسباب التقدم وقامت حركة تدوين الشعر والاخبار على قدم وساق ؟ والمفهوم من الاخبار ان اولئك الشعراء كانوا يكتبون أشعارهم بأيديهم أو يكلفون أحداً من الغلمان أو القهارمه (الكتاب) بكتابتها كما كان رواتهم يكتبونها ويملونها على الطالبين • وقد ثبت ان شعراء القرن الأول للهجرة بما فيهم بعض شعراء البوادي كانوا يفضلون كتابة شعرهم على الرواية ويظهرون حرصهم على أن لا تبدل كلمة بكلمة اخرى كما يحدث عند المشافهه ، فقد روى الصولي أن ذا الرمه قال لعيسى بن عمر : أكتب شعرى فالكتاب أعجب اليّ من الحفظ ، وان الاعرابي ينسى الكلمة قد سهرتُ في طلبها ليلة فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشده الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام(٣٠)

ويجب أن لانسى أن فريقاً من الشعراء وهم الذين ينقحون قصائدهم ويعيدون النظر فيها قبل اذاعتها كمسلم بن الوليد وأبي نواس والبحتري كانوا أحرص من غيرهم على العناية بالمدونات •

قال أبو هلال العسكري « وكان أبو نواس يعمل القصيدة ليلة ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها ، ويقتصر على العيون منها ، ولهذا قصّر أكثر قصائده • وكان البحتري يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً »(٣١)

وكان لكبار الشعراء رواة اختصوا بهم وتفرغوا لرواية شعرهم وكان لبعض مشاهيرهم عدة رواة كما لاحظنا في اخبار بشار بن برد اذ كان من رواته مسلم الخاسر الشاعر البصري المعروف(٣٢) ويحيى بن الجون العبدي(٣٣) ومحمد بن الحجاج الذي يلقبه الخطيب البغدادي بالشراواني(٣٤) وجعفر بن محمد

---

(٣٠) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ١١٩ •
(٣١) المختار من كتاب الصناعتين (وزارة الثقافة) ٦٥ – ٦٦ •
(٣٢) انظر الاغاني ١١٧/٢١ •
(٣٣) الاغاني ١٣١/٣ ، ١٥٧ •
(٣٤) نفسه ١٩٧/٣ وتاريخ بغداد ٢١٣/٧ •

النوفلي[٣٥] وتنعت الاخبار كل واحد من هؤلاء بعبارة « راوية بشار » ، وكان أبو هفان راوية أبي نواس وأحد غلمانه[٣٦] وقد روى شعره وألف كتاباً في أخباره لعله أقدم كتاب في أخبار شاعر واحد وصل الى أيدينا[٣٧] وكان من رواة أبي نواس أيضاً يحيى بن الفضل وأبو علي الاصغر الضرير[٣٨] وكان الشاعر دعبل الخزاعي راوية مسلم بن الوليد وذكر ان للعتابي راويتين هما منصور النمري الشاعر ورجل آخر اسمه محمد بن علي الضبي وصفه المرزباني بهذا الوصف[٣٩] والامثلة على ذلك كثيرة • ولم يكن وجود مثل هؤلاء الرواة بدعةجديدة بلهيعادة تقليدية ملازمة للشعر والشعراء منذ امرىء القيس والمهلهل ويمكن الافتراض أن انتشار الكتابة وتوفر أسبابها الضرورية وارتفاع مستوى الثقافة الادبية بصورة عامة ، وتزايدالوراقين وازدهار تجارتهم ، وظهورالاحتراف فيجمع الشعر وروايته ، جعلرواة الشعراء يكتسبون أهمية خاصة متزايدة،ولعل بعضهم قد احترف تدوين الشعر وجمع دفاتره بالاضافة الى مزاولة الرواية الشفهية • ولم يكد بعض الوقت يمر ويهتم علماء بارزون بجمع دواوينالشعراء المحدثين واخبارهم حتى غدا رواة اولئك الشعراء مصادر أولية لا مناص من الرجوع اليها بطريق الرواية المدعمة بالأسانيد المنتهية اليهم لتوثيق المنقولات الشعرية والخبرية كما كان يفعل أهل الحديث • ولعل العلماء كانوا يقومون بمراجعة ما خلفه رواة الشعراء وكتابهم من مدونات ودفاتر وكراريس ولسنا بحاجة الى ضرب الامثلة مرة اخرى بعد أن درسنا أسانيد أخبار بشار ووجدنا أسماء رواته متكررة بسلاسل مختلفة[٤٠] • ويمكن لمن يريد أمثلة أخرى ان يراجع أخبار الشعراء الآخرين في كتاب الاغاني ليلاحظ الدور الذي لعبه رواة الشعراء في نقل أخبارهم وتصانيفهم الى الأجيال التالية • وكان أبناء بعض

(٣٥) الاغاني ٣/١٦٤ •
(٣٦) طبقات الشعراء المحدثين ٤١٠ •
(٣٧) انظر اخبار ابي نواس لابي هفان تحقيق عبدالستار فراج •
(٣٨) الموشح ٢٧٩ ، وزهديات ابى نواس ٥ •
(٣٩) معجم الشعراء ٣٥٨ •
(٤٠) مصادر اخبار بشار مجلة كلية الآداب العدد السابع ١٩٦٤ •

الشعراء وأهلوهم يفعلون بعض ما يقوم به الرواة في عمليات نقل أخبار وأشعار آبائهم أو ذويهم كما فعل محمد بن بشار بن برد وعتاهية محمد بن أبي العتاهية وابن العباس بن الأحنف[٤١] وأبناء مروان بن أبي حفصه من آل حفصه كما يذكرهم ابن النديم وقد ترددت أسماء هؤلاء كثيراً في أخبار الاغاني عن مروان خاصة[٤٢] وكان رؤبة بن الحجاج يروي شعر أبيه وأخباره كما كان عقبة يروي شعر أبيه رؤبه • وفي القرن الثالث أمثلة كثيرة اخرى فآل المنجم وكان أكثرهم أدباء وشعراء كانوا يتناقلون أشعار وأخبار آبائهم وأعمامهم ويتوارثون خزاناتهم ويذيّل بعضهم كتب بعض[٤٣]• وقد انشغل أغلب آل المنجم كما ذكرنا في مقال سابق بشعر المحدثين •

ان هذه الامكانيات والظروف والعوامل المساعدة ، وضعت تحت تصرف المعنيين بتصنيف الدواوين وكتب المختارات وسائل صالحة لانجاز هذا العمل لتحقيق الشعر وتدوينه على وجوه ادعى الى الثقة وأدنى الى حسن التنظيم والتأليف • والحق أن القرن الثاني لم يكد ينتهي حتى رأينا رواة القرن الثالث وعلماءه يعملون بجد ونشاط لجمع التراث الشعري والخبري الذي خلفه الشعراء المحدثون • وكانت مهمة اولئك الرواة أسهل من مهمة شيوخهم الذين جمعوا ودونوا التراث الجاهلي والاسلامي • ولا نشك ان الانجازات التدوينية الجديدة يعود فضلها الى هؤلاء الشيوخ فهم الذين رسموا الطرق واستحدثوا المناهج الواجب اتباعها فمهدوا السبيل لتحسينها وتطويرها فيما بعد • وهنا يحسن أن نوضح أن عمليات تدوين الشعر قد وصلت الى درجة عالية في التنظيم خلال القرن الثاني بفعل الجهود التي بذلت لتقييد دواوين القبائل • فما أورده ابن النديم والآمدي كما قال الدكتور ناصر الدين الأسد لا يبرر الشكوك التي أبداها بعض المستشرقين حول هذا الموضوع عندما زعموا أن عملية التدوين لم تكن واضحة مستقرة • واذا كانت بعض الأخبار بشأن كتب ابن المقفع وكتاب سيبويه وكتاب

---

(٤١) سيأتي ذكرهم بعد قليل •
(٤٢) الفهرست ٢٣٤ والاغاني ٣٦/٩ •
(٤٣) معجم الادباء ١٥٢/١٥ •

العين تدل على عدم استقرار الكتب المذكورة في القرن الثاني كما يرى الاستاذ جب في مقاله (بدء التأليف النثري)[٤٤] فليس لدينا أدلة تخولنا حق تعميم هذا الاستنتاج على عمليات تدوين الشعر والنثر عامة في أواسط القرن الثاني ، فقد بدأ هذا التدوين منذ وقت مبكر ووجد ظروفاً ودوافع مساعدة أدت الى تحسين مناهجه وترقيتها بسرعة فائقة هذا فضلا عن أن تدوين الشعر كان أسبق من تدوين النتاج النثري وهذه ظاهرة عامة في آداب الامم الاخرى .

ومن يتتبع أو يتأمل حركة تدوين شعر العصر العباسي الأول يدرك أن نشاط الرواة في أوائل وأواسط القرن الثالث كاد ينهي المرحلة الاولى من مراحل روايته وجمعه وغربلته وتقييده . لقد اختفت حتى نهاية المائة الاولى من حكم العباسيين أربعة أجيال من الشعراء المحدثين تجاوز عددهم المائة فقد ذكر منهم ابن المعتز ١٣٢ شاعراً وشاعرة وترجم أبو الفرج لاكثر من مائة أيضاً وترك هؤلاء الشعراء تراثاً شعرياً ضخماً ما برح تطور الاذواق والافكار والمآرب يزيد من قيمته الفنية وسمعته الأدبية والاجتماعية ويمنحه مكانة لاتقل علواً عن مكانة الشعر القديم بل ارتفعت عنه عند المتعصبين للجديد . وكانت المعارك الفنية المتواصلة بين أنصار القديم وأنصار الجديد أو الشعر المولد تضاعف من اهتمام الناس بشعر المحدثين حتى وضعت في صفه كثيراً من رجال الأدب والسياسة والنقد لاسيما المعتدلين الذين لا يتعصبون للقديم لقدمه ولا للحديث لحدوثه من أمثال ابن قتيبه وعمر بن شبه وأبي سعيد السكري ومحمد بن يزيد المبرد وابن السكيت وغيرهم من علماء القرن الثالث الذين خدموا القديم والجديد في وقت واحد . وكان المعجبون بالشعر الجديد أكثر اندفاعاً في روايته وتدوينه والتأليف في اخبار شعرائه وأبرز هؤلاء عبدالله بن المعتز وأبناء آل المنجم علي بن يحيى واولاده يحيى بن علي والحسن بن علي وهارون بن علي الذين مر ذكرهم ومحمد بن داود ابن الجراح وأشهرهم كلهم في هذا الميدان محمد بن يحيى

---

(٤٤) انظر مقال جب « بدء التأليف النثري فى المنتقى من دراسات المستشرقين ١/١٣٢ ـ ١٣٧ لصلاح الدين المنجد .

الصولي الذي استقرت ونضجت على يديه المرحلة الثانية لعمليات تثمين أو تقييم الأدب الجديد واستقصاء وجمع شعر المحدثين وتدوين دواوينه ، وكانت ثمرة جهود اولئك وهؤلاء خروج تلك الاعداد الكبيرة من دواوين المحدثين وتداولها في أيدي الناس واستقرارها في خزائن الكتب الخاصة والعامة حتى تسنّى لابن الحاجب وابن النديم وغيرهما أن يذكروا المئات منها بأسماء أصحابها وعدد أوراقها. فتهيأت بذلك المادة الاولية اللازمة لانجاز المصنفات الشعرية والسيرية والادبية والدراسات النقدية التي نجدها فيما بقي من كتب ابن المعتز وابن قتيبه والمبرد ومحمد بن عمران المرزباني والصولي وأبي الفرج الاصبهاني والآمدي وغيرهم من مصنفي القرنين الثالث والرابع أو من مؤلفي العصور التالية .

ان المؤلفات الخاصة بالشعر والشعراء التي وصلت الينا من القرن الثالث الهجري ككتاب الشعر والشعراء لابن قتيبه وطبقات ابن المعتز تدل على أن مؤلفيها كانوا يمتلكون دواوين شعراء العصر العباسي الأول أو مجموعات شعرية كثيرة لكل شاعر ذكروه من هؤلاء الشعراء ، بحيث تسنى لهم انتقاء المختارات الشعرية التي ذكروها واصدار الاحكام النقدية الكثيرة التي أطلقوها . هذا مع العلم أن ابن قتيبه وابن المعتز لم يكونا الوحيدين الذين ألفا في الشعر والشعراء والطبقات وتعرضا فيها للقدماء والمحدثين معاً أو للمحدثين فقط ، بل كان كتاباهما غيضاً من فيض لان الكتب التي الفت في هذا الباب تعد بالعشرات . (انظر القائمة التي أعددناها بأسماء هذه الكتب في كتابنا (في الأدب العباسي) وما دمنا نرجح أن تدوين دواوين العصر العباسي الأول قد جرى على مراحل فمن الأفضل أن نعتبر جهود أدباء ومؤرخي القرن الثالث قد الفت المرحلة الاولى من هذه العملية التدوينية . ونقصد بهؤلاء أمثال عمر بن شبه وابن السكيت وأبي سعيد السكري وابن قتيبه وابن المعتز وابن الجراح ويمكن أن نضيف الى هؤلاء أبناء آل المنجم الذين نشطوا خلال هذا القرن أيضاً كعلي بن يحيى ويحيى بن علي والحسن بن علي وهارون بن علي وغيرهم ممن ذكرناهم في الفصلين السابقين أو في القائمة التي جمعنا فيها أسماء من ألف في الشعر والشعراء في بحوثنا السابقة . أما

المرحلة الثانية فتمثلها جهود الجيل التالي من علماء الأدب والشعر الذين نشطوا في أوائل القرن الرابع واستقرت وتمنهجت على أيديهم عملية تدوين الدواوين وحركة التأليف في الأخبار • وأبرز هؤلاء كافة في هذا الميدان محمد بن يحيى الصولي وحمزه الاصفهاني ومحمد بن عمران المرزباني وأبو الفرج الاصفهاني نفسه وغيرهم • وكانت المرحلة الاولى المشار اليها قد بدأت واشتدت خلال النصف الأول من القرن الثالث • وكان هذا الاشتداد أو النشاط نتيجة لعوامل كثيرة نذكر منهـــا :

١ ـ اختفاء شعراء العصر العباسي الأول وشعور الأوساط الادبية بضرورة جمع شعرهم وتدوينه •

٢ ـ النجاح الباهر الذي حققه الشعر المولد أو المحدث في الاوساط المختلفة ولا سيما شعر المطبوعين والمجددين الذين نالوا شهرة واسعة ومكانة مرموقة كبشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي العتاهية والعباس بن الأحنف ودعبل الخزاعي والحسين بن الضحاك وأبي تمام وغيرهم من لا نرى ضرورة لذكر أسمائهم جميعاً •

٣ ـ تطور الذوق الأدبي بتطور الحياة الأدبية والاجتماعية والثقافية وتزايد اهتمام الناس بشعر المحدثين لأنه أقرب اليهم وألصق بتجاربهم النفسية وخبراتهم العقلية والحياتية وأبلغ تعبيراً عن مشاكلهم وتصويراً لظواهر بيئتهم وخفاياها وصورها •

٤ ـ شعور الخلفاء ورجال الدولة العباسية أو الشخصيات الرسمية وغير الرسمية البارزة الاخرى بضرورة حفظ وتدوين القصائد التي نظمها الشعراء المحدثون في مدحهم أو في هجاء خصومهم للدعاية لأنفسهم والمباهاة بمناقبهم الصحيحة والمزعومة ليبقى أثرهم ويسير ذكرهم ، وقد تعاونت الدوافع السياسية والنفسية والخصومات المختلفة على زيادة أوجه النشاط في هذا المجال •

٥ ـ تباطؤ عمليات تدوين التراث الشعري القديم من جاهلي واسلامي وتقلص الفرص لتحقيق نجاح مرموق آخر فيه بعد أن حققت الجهود الباهرة التي

قام بهـا رواة القرن الثـاني وأوائل القرن الثالث أفضـــل ما يمكن تحقيقه في هذا الميـــدان .

٦ ـ سـأم الناس والأجيـال الجديدة من الأدباء من الشـعر القديم لكثرة ما ظهر في الوسط الأدبي من دواوينه ومصنفاته ومختاراته وشروحه .

٧ ـ تطور وتوسع صنعة الوراقة وتجارتها وامتلاء السوق (الوراقية) ان صح هـذا التعبير بما أشرنا اليه من كتب ومصـنفات في الأدب القـديم واندفاع الوراقين بحكم قانون العرض والطلب الى البحث عن (بضاعة) اخرى تفتح لهم (أسواقاً) جديدة . وكان شعر المحدثين وخاصة المشهورين منهم المادة الصالحة التي تحتم الاشتغال بها للحفاظ على سيرالعمل في الوراقة وضمان التجارة والربح من ورائها .

وقد هيأ اكتشاف صناعة الورق في أواسط القرن الثاني وتوفر مواد الكتابة وأدواتها وسهولة ايجاد الأيدي العاملة فيها لكثرة الرقيق وفقرالمشتغلين في الأدب ـ عدا القلة التي ابتسم لها الحظ فنالت الرتب والاموال ـ ثم ازدياد القوة الشرائية للكتب بسبب انتشـار الثقافة واهتمام ـ الخاصـة ـ باقتنائها ، أقول هذه العوامل أسهمت في تطور حركة الوراقة ورواج تجارتها واتساعها . والواقع ان الاهتمام باقتناء الكتب في القرن الثالث الهجري كان عظيماً ، وكان من أبرز ظواهره شيوع تكوين المكتبات أو خزائن الكتب العامة والخاصة . ولم يكن كبار العلماء وحدهم يهتمون بانشـاء هذه الخزائن بل شـاركهم وفاقهم في ذلك الوزراء والحجاب والاغنياء وأكابر الناس حتى صار جمع الكتب عادة سائدة ووسيلة للتفاخر والمباهاة والظرف والظهور بالمظهر الراقي في المجتمع ، وكانت طبقـة الخاصة هـذه تعد اقتناء الكتب وامتلاك خزائنها مزية من مزاياها الاجتماعية . واكتسب (الكتاب) وكل ما هو مدون من صحائف وكراريس ودواوين قيمة مرموقة كان أهل العلم والأدب يدركونها ويشيدون بها فيما وصل الينا من أقوالهم ، يدل على ذلك الفصل الذي كتبه وجمعـه الجاحظ في صـدر كتاب الحيوان[٤٥] وما كتبـه الخطيب

---

(٤٥) الحيوان الجزء الاول .

البغـدادي في باب (فضل الكتب وبيان منافعها) وفصـل (الاكثار من الكتب) والفصول الاخرى التالية من القسم الرابع من كتابه (تقييد العـلم)[٤٦]. وقد تنـاول هذا الموضوع عـدد كبير من المصـنفين والعلمـاء والأدباء في العصـور المختلفة[٤٧] الا ان لما كتبه الجاحظ ومعاصروه أهمية تاريخية أو توثيقية كبيرة لانه يعكس المكانة الممتـازة للكتاب في القرن الثالث نفسـه أي في الوقت الذي اشـتدت فيه حركة التدوين والتأليف في أدب المحـدثين وغيرهم . والواقع ان قسماً كبيراً مما ورد بهذا الشـأن وجمعه الجاحظ والخطيب أو تناقـله المؤلفون الآخرون كان صادراً من كبار الشخصيات العلمية في القرنين الثاني والثالث[٤٧] وقد كان الجاحـظ نفسه مجنوناً يحب الكتب فكان يكتري حـوانيت الوراقـين ويَبيتُ فيها للنظر ولو صحت الرواية القائلة بأنه مات لانهيال الكتب عليه لكان شهيد الكتب بحق واستحقاق . وقد اشتهر بحب الكتب ثلاثة من أبرز شخصيات القرن الثالث قال المبرد : ما رأيت أحرص على العـلم من ثلاثة الجـاحظ والفتح بين خاقان واسماعيل بن اسحاق القاضي ؛ فأما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله الى آخره ، أي كتاب كان . وأما الفتح فكان يحمـل الكتاب في خفه ق فاذا نام بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصـنع مثل ذلك في رجوعه الى أن يأخذ مجلسه . وأما اسماعيل بن اسحاق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه ، أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه[٤٨] ان تزايد قيمة الكتاب وسعة انتشاره واقتنائه وتكاثر خزائن الكتب الخاصة والعامة لا يشير الى تقدم الثقافة والحضارة فحسب بل يدل أيضاً اذا نظرنا للمسألة نظرة موضوعية على اسـتمرار واتساع

---

(٤٦) الخطيب البغدادي تقييد العلم ١١٤ ـ ١٥٠ .

(٤٧) نفسه حيث نجد اقوالا وحكايات عن فضل الكتب وبعـدد كبير من علماء الفريقين الثاني والثالث فضلا عن علماء القرن الاول حتى انه نقل عبارة لابن عباس بهذا الخصوص ص ١١٨ .

(٤٨) تقييد العلم ١٣٩ ، امالى المرتضى ١/١٣٨ ومعجم الادباء ١٦/٧٥ .

وتطور حركة التدوين ، فكان من الطبيعي بحكم هذا التطور والاتساع أن تتجه هذه الحركة الى الثروة الادبية التي أضافها المحدثون الى مجموع التراث الادبي وان تتظافر العوامل المختلفة التي أشرنا اليها لدفع هذه الحركة وتوسيعها وتطوير مناهجها وتحسينها في الظرف نفسه .

وكان تكاثر خزائن الكتب واهتمام الخلفاء منذ وقت مبكر بانشائها واغنائها من ثمرات حركة التدوين ومن عوامل تشجيعها وتنشيطها . وقد لعبت هذه الخزائن وخاصة خزائن الخلفاء دوراً أساسياً في حفظ الشعر وتدوينه . وقد اهتم الخلفاء بانشاء خزائن دور الخلافة منذ عهد المنصور(٤٩)، أما خزانة الحكمة التي يعزى انشاؤها الى المأمون فقد كانت موجودة في عهد الرشيد(٥٠) ومن الخزائن الثمينة التي اشتهرت في هذا العهد خزانة البرامكة التي اشتغل بها عدد من مشاهير العلماء والشعراء في ذلك العصر كعلان الشعوبي الذي يذكر صاحب الفهرست انه كان منقطعاً الى البرامكة ، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة(٥١) والشاعر المعروف أبان بن عبدالحميد اللاحقي الذي نظم للبرامكة شعراً كتاب كليله ودمنه(٥٢) ليسهل حفظه فأصبح على ما ذكروا أربعة عشر الف بيت . وكان أبان خاصاً بجعفر ويحيى بن خالد وكان يحيى قلده ديوان الشعر فكان الشعراء يرفعون اليه أشعارهم في البرامكة(٥٣) ... الخ والكلام يطول اذا فصلناه في هذا الشأن ومن الخير لمن يحب الاستزادة أن يرجع الى الفصل الذي خص به الاستاذ كوركيس عواد هذا الموضوع في كتابه القيم (خزائن الكتب القديمة في العراق)(٥٤) وقد ذكر في جملة ما ذكر بعض الخزائن المشهورة في القرن الثالث كخزانة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) وخزانة المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) وخزانة

---

(٤٩) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١/ ٢٢٠ .
(٥٠) كوركيس عواد ، خزائن الكتب القديمة فى العراق ١٠٥ .
(٥١) المصدر ١٠٦ والفهرست ١٦٠ (الاستقامة) .
(٥٢) الفهرست ٢٣٨ (الاستقامة) .
(٥٣) الجهشياري ٢١١ .
(٥٤) انظر القسم الاول من الباب الرابع من كتاب الاستاذ كوركيس عواد المذكور .

الراضي (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ) التي قيل إن الصولي قد أسهم في شراء الكتب لها ولا شك انه تمكن من الاستفادة مما فيها . ويبدو أن بعض خزائن الكتب كانت ذات فائدة عظيمة للادباء والعلماء الذين شمروا عن سواعدهم وعقولهم لجمع دواوين الشعراء المحدثين أوالاختيار من أشعارهم أو جمع المعلومات للمؤلفات التي تناولت أخبارهم وأشعارهم وطبقاتهم . فعلي بن يحيى بن أبي منصور المنجم الذي كان من خواص المتوكل ومن تلاه من الخلفاء الى أيام المعتمد بالله ، وكان شاعراً وأخبارياً، كان يهتم اهتماماً عظيماً بخزانته فجمع لها الكتب من كل صوب وسارع الى شراء كتب العلماء من ورثتهم بعد وفاتهم ومن العلماء المصنفين الذين اشترى كتبهم عمر بن شبه ؛ قال ابن النديم : ومات عمر بن شبه بسر من رأى يوم الاثنين لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين ، وبلغ في السن تسعين سنة ، وصارت كتبه الى أبي الحسن علي بن يحيى ابتاعها من أبي طاهر بن عمر بن شبه[٥٥] وكان عمر في جملة العلماء والرواة الذين عنوا عناية خاصة بجمع دواوين بعض شعراء القرن الثالث[٥٦] وكان يساعد بعض الاكابر الذين يعنون بالكتب فقد « اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل وعمل له خزانة نقل اليها من كتبه أكثر ما اشتملت عليه خزانة حكمه قط[٥٧] وكان علي بن يحيى هذا ممن يعنى بالتأليف فقد ذكر ياقوت ان له تصانيف منها كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين[٥٨] حدث أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة انه « كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم ، وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة لهم ، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى»[٥٩] فاذا تذكرنا ان أبناء علي بن يحيى ممن ذكرناهم في بحوثنا السابقة كيحيى بن علي

---

(٥٥) الفهرست ١٦٩ .
(٥٦) الموشح ٢٩٢ .
(٥٧) معجم الادباء ١٥/١٤٤ .
(٥٨) نفسه .
(٥٩) نفسه ١٥٧ .

والحسن بن علي كانوا من كبار المؤلفين الذين عنوا عناية كبيرة بالشعراء المحدثين، حتى كثر التنويه بنشاطهم في هذا الميدان[٦٠] واذا تذكرنا أيضاً ان كتب عمر بن شبه وغيره ممن لم تشر اليهم الاخبار كانت في هذه الخزانة أدركنا مدى الخدمات والمساعدات القيمة التي قدمتها مثل هذه الخزانة فيعملية تدوين دواوين أدب المحدثين والتأليف فيه . وهناك أمثلة كثيرة يمكن أن نجدها في المصادر لاثبات هذا ، نخص منها ما ذكره الحصري ان عبدالله بن المعتز استعار جزءاً فيه أخبار معبد المغني المشهور مكتوباً بخط حماد بن اسحاق الموصلي من علي بن يحيى المنجم[٦١] وقد يقول قائل : لقد ذكرت ان شعراء القرن الثاني كانوا يعنون عناية ما بكتابه أشعارهم فلماذا لا نفترض ان دواوينهم كانت معروفة متداولة في أواخر القرن الثاني على أقل تقدير ؟ خاصة وان حرفة الوراقة كانت قد توسعت وان حركة التدوين كانت نشطة ؟

وللرد على هذا الاعتراض نقول ان من المؤكد وجود مدونات تضمنت كثيراً أو قليلا من شعر شعراء القرن الثاني ولكن يندر أن تكون كاملة لأسباب منها أن أكثر شعراء هذا القرن لم يفارقوا الحياة الا في أواخر القرن الثاني كأبي نواس م ١٩٨ هـ وسلم بن الوليد ٢٠٦ هـ والعباس بن الأحنف وسلم الخاسر ١٨٦ هـ .

ولكن قسماً منهم امتد به العمر فعاش فترة من الزمن في القرن الثالث فأبو العتاهية توفى ٢١٣ هـ ودعبل الخزاعي امتد به العمر الى عام ٢٤٦ هـ والحسين بن الضحاك عمر طويلا الى أن توفى سنه ٢٥٠ هـ

ولهذا فان الاشعار المدونة لهؤلاء وغيرهم ان وجدت فالمرجح انها غير كاملة أضف الى هذا ان الناس يعنون عادة بشعر الشاعر وانتاج الأديب بعد ان يموت لاسباب كثيرة ربما كان في مقدمتها تجنب التعرض اليه في حياته تملصاً من المسؤولية التي قد يحملهم ايها أو اتقاء لشر هجائه اذا غضب لنقد يوجه اليه أو لهفوه أو عمل لا يرضى عنه . وقد لاحظ بعض الباحثين في الاشارات العابرة التي

---

(٦٠) الفهرست ٢٣٤ .

(٦١) زهر الاداب للحصري ١/١٤٩ .

خصوا بها حركة التدوين هذه الظاهرة أعني التحرز والتخوف من التعرض للشعراء الاحياء كالدكتور بدوي طبانة[٦٢]. هذا فضلا عن الأسباب الاخرى التي لمحنا اليها كانشغال علماء القرن الثاني بالأدب القديم واعراض أكثرهم عن شعر المحدثين لتعصبهم للقديم أو لانتظارهم ما يقرره الذوق العام بشأن انتاجهم الشعري الجديد كما يحدث عادة للادباء الذين يعيشون في عصر واحد . وسواء كان هذا أم ذاك فان حكم الزمن فاصل في هذا الشأن ولا بد من سنوات تمر لكي تبرز الدوافع التي تشجع المعنيين بالشعر والأدب على العناية بتدوين انتاج معاصريهم ونقده.

هذه الاسباب التي ذكرناها هي التي وسّعت حركة تدوين شعر المحدثين وأدت الى هذا النشاط الذي ابداه الادباء وعلماء الشعر واللغة من أواسط القرن الثالث ، ومع ان المعلومات التي يمكن جمعها بهذا الخصوص قليلة وغير مرتبة ترتيباً زمنياً لقلة اهتمام الاخباريين بتحديد المواقع الزمنية لمنقولاتهم من جهة، ولعدم وجود بحوث حديثة تمهد لنا سبل البحث من جهة اخرى ، مع هذا كله فان بعض الاخبار أو المعطيات تؤكد رغم تبعثرها وقلتها ما ذهبنا اليه . ولا ريب في أن مراجعة ما ذكرته المصادر عن مصنفات ومؤلفات علماء وأدباء القرن الثالث في طليعة الوسائل التي تبرز الخطوط العريضة للتدوين المنهجي لشعر المحدثين والتأليف المنظم فيه .

والواقع أن طائفة من اولئك الادباء والعلماء قد اهتموا اهتماماً كبيراً بدواوين الشعراء المحدثين فقاموا بجمعها أو باعادة جمعها بعبارة أدق مستعينين بكافة الوسائل الكفيلة بانجاز جمع منظم لتلك الدواوين وخاصة دواوين كبار الشعراء . فاستعانوا بما تركه هؤلاء من نصوص مكتوبة تمكنوا من الحصول عليها من هنا وهناك وبما وجدوا من صحائف وكراريس ودفاتر الاشعار في خزائن الكتب التي تسنى لهم الاطلاع على محتوياتها ، كما استعانوا بأبناء الشعراء وأقربائهم والذين كانوا على صلة وثيقة بهم .

هذا بالاضافة الى ما كان موجودا في أيدي الناس من دواوين ودفاتر شعر كان الوراقون قد عملوا منها مئات النسخ وباعوها للخاصة والعامة. . ومن المؤكد

---

(٦٢) بدوي طبانة دراسات في نقد الادب العربي ١٥٧ .

ان نشاط الوراقين كان سبباً رئيسياً لما شاع في تلك المدونات من اضطراب وعبث وانتحال وتزوير وتصحيف ... الخ .

وكان الناس يقتنون دفاتر الشعر وما يتصل به من أخبار وشروح وآداب ويحتفظون بها . وكان المؤلفون يرجعون عليها كلما دعت الحاجة . وأكبر الظن أن دعبل الخزاعي الشاعر المعروف قد استعان بهذه المدونات في تأليف كتابه عن (الشعر والشعراء) الذي تعرض فيه الى عدد من شعراء زمانه) كما تدل الفقرات المنقولة عنه في الموشح والمسندة الى دعبل في كتاب الاغاني وغيره[٦٣] .

جاء في الموشح : أخبرني محمد بن يحيى (الصولي) قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : كنت عند دعبل بن علي ، أنا والعمراوي في سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام ، فذكرنا أبا تمام فجعل يثلبه ويزعم انه كان يسرق الشعر . ثم قال لغلامه : يانفيف ! هات تلك المخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ... الخ[٦٤] .

ولكن وجود مثل هذه الدفاتر لم يمنع العلماء من مواصلة العمل بجمع الشعر حدث محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عمر بن شبه قال : رآني محمد بن بشار بن برد وأنا أكتب شعر العباس بن الأحنف ، وكنت اقرأ عليه شعر أبيه (بشار) فقال : والله لا اقرأتك شعر أبي وانت تكتب هذا ! قلت فاني أتركه[٦٥] وأرجح الظن ان هذه النسخة من ديوان بشار التي جمعها بن شبة كانت أقدم النسخ الموثوقة ولاشك أن يحيى بن علي المنجم وغيره من ابناء تلك العائلة قد اعتمدوا عليها في مؤلفاتهم عن الشعراء المحدثين لانها انتقلت الى خزانة أبيهم علي بن يحيى عندما اشترى كتب عمر بن بشة من ولده كما أسلفنا . ويقال مثل هذا عن ديوان العباس بن الأحنف . وقد أعيد بعد ذلك جمع هذين الديوانين

---

(٦٣) معجم الشعراء ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦٧ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٨ المؤتلف والمختلف ٦٧ ، ١٦٩ وفيات الاعيان ١/٦٣ ، ١/١٧٩ .
وانظر مقدمة الديوان نشر عبدالصاحب الدجيلي والعمدة لابن رشيق ١/١٢٢ .

(٦٤) الموشح ٣٢٧ .

(٦٥) الموشح للمرزباني ٢٩٢ .

مع ما صنع من دواوين القرنين الثالث والرابع والعصور التالية وفق المناهج التي جدت بعد ذلك فعمل زنبور الكاتب ديوان العباس بن الآصف[٦٦] كما عمله محمد بن يحيى الصولي وآخرون ، وكان هذا سبب الاختلاف الذى أشار اليه ياقوت بقوله : وله ديوان لطيف يتداوله الناس وفي بعض نسخه اختلاف[٦٧] .

لقد كان من نتائج جهود العلماء العراقيين في القرن الثالث ادخال شيء من الترتيب والنقد في عمليات جمع الشعر القديم وتدوينه فتبلور على أيديهم منهج ما[٦٨] واتجه فريق منهم الى الشعراء المحدثين كما فعل عمر بن شبة وغيره .

فاشتغل ابو سعيد لسكري (٢١٢ - ٢٧٥ هـ) تلميذ ابن حبيب والأصمعي بدواوين بعض المحدثين . وكان السكري قد اشتهر بجمع الدواوين واتمامها واظهار اختلافاتها[٦٩]، فجود وأحسن وخلف انتاجاً ضخماً في حقل الشعر القديم[٧٠] . ولا ريب انه طبق طريقته وزيدة تجاربه في المجهود الذي بذله عند عمله المحدود في حقل الشعر المحدث . ومما عمله هنا اشعار أشجع السلمي[٧١] . ورؤية بن العجاج (من المحدثين) [٧٢] وديوان ابراهيم بن هرمة من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية وقد صنفه فى نحو خمسمائة ورقة ولا ريب ان السكري قد وسعه بشروحه لأن صاحب الفهرست يذكر أن شعر بن هرمة المجرد نحو مائتى ورقة[٧٣] . واشتغل السكري ايضا بديوان ابي نواس ولكنه لم يتمه ومقدار ما عمل منه ثلثه في مقدار الف ورقة[٧٤] قد تكلم على معانيه وأغراضه وقد رآه ابن النديم بخط الحلواني قريب أبي سعيد[٧٥] . وكان أبو

---

(٦٦) الفهرست والاستقامة ٢٣٨ .
(٦٧) معجم الادباء (دار المأمون) ١٢/٤٤ .
(٦٨) بلاشير تاريخ الادب العربي ١٣٣ .
(٦٩) المصدر نفسه .
(٧٠) الفهرست ٢٣٠ .
(٧١) الفهرست ٢٣٢ .
(٧٢) الفهرست ٢٣١ .
(٧٣) نفسه ٢٣٣ .
(٧٤) نفسه ٢٣٤ .
(٧٥) نفسه ١٢٣ .

يوسف يعقوب بن السكيت (م ٢٤٣ هـ) قد سبق السكري في الاهتمام بديوان ابى نواس فشرحه فى نحو ثمانمائة ورقة وجعله عشرة أصناف[٧٦] وعنى كذلك بعض الشعراء المحدثين الآخرين عناية محدودة فشرح قصيدة لعمارة بن عقيل حفيد الشاعر جرير وكان عمارة من معاصريه[٧٧] واهتم أبو العباس المبرد ببعض المحدثين ايضا فقد ذكر ابن رشيق ان له رواية لشعر عبد الصمد بن المعذل[٧٨] وكان هذا الشاعر بصري المولد والمنشأ ، هجاء خبيث اللسان شديد العارضة وقد عاصره المبرد لأنه مات في حدود سنة ٢٤٠ هـ[٧٩] . ان الاكثار من الامثلة عن جهود علماء القرن الثالث فى جمع دواوين المحدثين قد يكون مملا فضلا عما فيه من صعوبة لقلة الاشارات الصريحة الواردة في المصادر بهذا الشأن ولكن دلائل كثيرة تشير الى أن هذه الحركة التدوينية الجديدة كانت واسعة ، وأولها اتساع التأليف عن الشعر والشعراء من قدامى ومحدثين خلال القرن الثالث وحول أواسطه على الاخص ، فابن قتيبة ذكر في الشعر والشعراء سبعة وعشرين شاعرا من المحدثين وتحدث عن شعرهم بما يدل على انه اطلع على دواوين الكثير منهم[٨٠] والمرجح انه الف كتابه خلال العقد السادس من القرن الثالث . أما عبد الله بن المعتز الذى الف كتابه طبقات الشعراء المحدثين بعد ذلك بسنوات قد لا تزيد على العشرين ، وقصره عليهم ، فكثيرا ما يختم تراجمهم بأقوال تدل على وجود دواوينهم بأيدي الناس . فعلي بن الجهم « شهر شعره ووجد عند الخاصة والعامة »[٨١] واشعار أبي العتاهية « كثيرة جداً الا انها مشهورة[٨٢] وصالح بن عبدالقدوس م ١٦٧ هـ أشعاره كثيرة موجودة عند جمع

---

(٧٦) نفسه ٢٣٤ .

(٧٧) بروكلمن تاريخ الادب العربي ٢٠٨ .

(٧٨) العمدة ١٠٨/١ .

(٧٩) فوات الوفيات ٥٧٥/١ وانظر محمد عبدالصمد طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٦٨ والاغاني ٥٧/١٢ .

(٨٠ و ٨١) طبقات الشعراء المحدثين .

(٨٢) نفسه ٢٣٤ .

الناس ،[٨٣] واشعار حماد عجرد كثيرة واسعة[٨٤] وخلف الاحمر ، كثير الشعر وشعره موجود في أيدي الناس ،[٨٥] ولا نقتصر اشارات بن المعتز هذه على كبار الشعراء كما يلاحظ من اشارته الى شعر من ذكرنا فأبو العول ، له شعر كثير وهو من المشهورين الذين يوجد شعرهم بكل مكان ،[٨٦] وأبو نخيله ، وشعره موجود كثير ،[٨٧] وقس على ذلك . ولاشك ان الكتب المؤلفة في الشعر والشعراء التي لم تصل الينا غاصة بمثل هذه الاشارات وكلها تدل على أن القرن الثالث لم يكد ينتهي حتى كان شعر المحدثين قد دونت دواوينه وكثرت في أيدي الناس بما في ذلك شعر المتأخرين من شعرائه . ولهذا وجد علماء القرن الرابع كالصولي ومحمد بن عمران المرزباني وأبي الفرج الاصفهاني وعلي بن حمزه الاصفهاني ان أبواب العمل مفتوحة على مصاريعها أمامهم للقيام بدراسات شاملة ، فالمادة جاهزة وعلماء القرن الثالث وأدباؤه قد مهدوا لهم السبيل فما عليهم الا أن يطوروا أساليب العمل ويحسنوا مناهج التصنيف والتأليف . قال المرزباني فيما حكاه انه لما صنف كتابه على حروف المعجم بأسماء الشعراء ، جمع دواوين ألف شاعر حتى اختار من عيون ما أراد ، وامتاز من متونها ما ارتاد[٨٨] وعدد دواووين المحدثين ضمن هذه الالف ـ ان صحت الرواية ـ ربما زاد عما ذكره ابن النديم . وبعد فان اسلوب جمع الدواوين قد تطور فاختلف عما كان عليه في القرن الثاني عند تدوين التراث الشعري القديم فمضى علماء القرن الثالث يدرسون الروايات المختلفة ويوازنون بينها ويظهرون اختلافاتها لتثبيت متون الشعر على وجه موضوعي مقبول . ولم يقتصر الأمر على اثبات نص الشعر فظهرت شروح للمجاميع والدواوين لتفسير الغريب وتلخيص معاني الأبيات مع شيء من النقد يتناول اللفظ والمعنى . وطبق هذا المنهج الجديد على دواوين المحدثين فصار العلماء يجمعونها على نفس الأسس فبحثوا عن

---

(٨٣) نفسه ٩٢ .
(٨٤) نفسه ٧٢ .
(٨٥) نفسه ١٤٩ .
(٨٦) نفسه ١٥ .
(٨٧) نفسه ٦٧ .
(٨٨) الصبح المنبي ١٠٧ .

الأصول المكتوبة والروايات التي توحي بالثقة وخصّوا بعضها بالشرح والتعليق كما ظهر من الأمثلة التي أوردناها قبل قليل .

وانتظمت طريقة الترتيب والتبويب في دواوين المحدثين التي ظهرت في أوائل وأواسط القرن الثالث فكان شعر الديوان يصنّف حسب الاغراض الشعرية من مدح وهجاء وغزل ورثاء ... الخ ويمكن أن نقول في شيء من التحفظ ان التصنيف على أحرف الهجاء لم يظهر في تلك الفترة ولو فرضنا انه ظهر فانه لم يكن منتشراً الى حد يمكننا من القول بأن منهجاً جديداً آخر قد برز للوجود ، لان الاشارات القليلة الى بعض الدواوين التي جمعت في القرن الثالث تشير الى أن الجامعين عملوا هذا الديوان أو ذاك على الابواب فابن النديم يحكى ان يحيى بن زياد راوية أبي نواس جمع شعره في عشرة أبواب ولم يقل انه صنفه على الحروف كما اعتاد أن يفعل كلّما أشار الى ديوان عمله الصولي أو علي بن حمزه الاصفهاني وكان هذان الاديبان من أهل القرن الرابع ونشاطهما في جمع الدواوين كان أبرز أعمالهما الأدبية المشهورة . وعلى الجملة يمكن الزعم بأن حركة تدوين شعر المحدثين كانت بمرحلتين : مرحلة اولى ظهرت خلال القرن الثالث اتجهت الى جمع دواوين الشعراء المحدثين ولا سيما مشاهيرهم وبطرق تعنى بالنص المقبول والرواية الموثوقة وتثبت الاشعار مجردة أو مشروحة أو ممزوجة بالاخبار فكان ان ظهرت دواوين وشروح دواوين ومختارات أو اختيارات كما سماها القدماء تختلف عن دفاتر الشعر والدواوين السوتية التي جمعها الوراقون كيفما اتفق وروّجوها بين الناس . وكان المنهج السائد خلال هذه المرحلة بالاضافة الى العناية النسبية بالرواية ، تصنيف الاشعار حسب الاغراض التي طرقها أصحابها . ولم يمر زمن طويل بين وقت التدوين والفترة التي عاش خلالها الشعراء وخاصة عند العمل بشعر أحد المعمرين كالحسين بن الضحاك الذي عاش حتى سنة ٢٥٠ هـ أو الذين لم يمض على وفاتهم سوى سنوات قليلة أو بعض المشهورين من المعاصرين الأحياء فكان من نتائج هذه الظاهرة والدوافع المختلفة المتداخلة فيها ظهور بعض التعجل نتج عنه تفشّي أخطاء وعيوب لاحظها أقطاب التدوين في المرحلة التالية

ككثرة النحل والنسبة الخاطئة والنقص في النص أو التلاعب به أو التصحيف فيه ... الخ فأشاروا اليها وحاولوا تلافيها في الدواوين الجديدة التي اشتغلوا بها أو التي عملت من قبل فقاموا باعادة العمل فيها .

وقد تمثل هذا وغيره في المرحلة الثانية من عملية تدوين شعر المحدثين ، التي لوحظت بوادرها في الربع الأخير من القرن الثالث ثم نشطت في النصف الأول من القرن الرابع ، وكان الصولي من أبطالها المجلين .

والحق أن نشاط هذا الأديب الفذ في جمع الشعر يثير الدهشة والاعجاب ، فقد كان صورة للتطور الذي حصل في مناهج رواية الدواوين وشرحها وتبويبها والاساليب التي جدت وتحسنت لتتلافى نواقص المرحلة الاولى وتظهر محاسن المرحلة الثانية . وكان تصنيف الشعر يجري حسب أحرف الهجاء أو حسب الاغراض التي يرتب فيها الشعر على أحرف الهجاء أيضاً وكانت هذه الطريقة هي العلامة الفارقة للدواوين الشعرية التي عملها الصولي أو التي عملها غيره في زمانه أو خلال العصور التالية . ولا جدال في أن الخطوة التي خطاها تدوين الشعر كانت جزءاً من التقدم العام الذي حققته مناهج التأليف والتصنيف في سائر حقول المعرفة العربية في القرن الرابع الهجري . وكان من أبرز خصائص هذه المرحلة أيضاً ظهور أو تبلور النقد التاريخي الذي يحاول غربلة النصوص وتثبيت صحيحها واسقاط النحول والمضاف . وهذا النقد واضح في المقدمات التي كتبها الصولي وعلي بن حمزه الاصفهاني وغيرهما في بعض الدواوين التي وصلت الينا . ومخطوطات رواية الصولي لديوان أبي نواس الموجودة في فيينا ولايدن واوكسفورد غنية بهذا النوع من النقد(٨٩) . أما مقدمة علي بن حمزه الاصفهاني التي صدر بها روايته لديوان هذا الشاعر نفسه(٩٠) فقد دلت هي أيضاً على الاهتمام بالنقد والتمحيص

---

(٨٩) نظر مقدمة (زهديات ابى نؤاس) التي استعرضنا فيها المخطوطات المذكورة لديوان هذا الشاعر .

(٩٠) انظر المقدمة المذكورة فى ايوان ابى نؤاس فى رواية الاصفهاني طبعة آصاف القاهرة ١٨ وفى طبعة فاجنر للرواية .

على الرغم من أن صاحبها لم يستفد كثيراً من الحرص الذي أبداه عند جمعه للاشعار[٩١] .

كان أبو بكر محمد بن يحيى الصولي من أبرز وأشهر الشخصيات الادبية في العقد الاخير من القرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع فقد وجدناه نديماً للخليفة المكتفي بين سنتي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) ونادم بعده المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) والظاهر (٣٢٠ - ٣٢٢) والراضي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) وبقيت شخصية الصولي لامعة باستثناء السنوات الاخيرة التي سبقت وفاته عام ٣٣٥هـ ، لهذا أفردنا دراسة خاصة عن مكانة الصولي وخدمته العظيمة تاريخ الأدب العباسي . والذي يهمنا في هذا الفصل الخاص بالدواوين جهوده الواسعة في هذا المجال . ولو لم تكن للصولي أياد أخرى على الأدب لكفاه فخراً أو فضلا انه جمع وحقق دواوين أشهر شعراء القرنين الثاني والثالث . ولم يستطع أحد أن ينافسه في هذا الميدان حتى أن المصادر القديمة لا تذكر شخصية أدبية أخرى قامت ببعض ما فعله الصولي في حقل الدواوين . فما يذكر ديوان شاعر كبير الا ويذكر اسم الصولي بجانبه كجامع لديوانه . حتى ضاعت أسماء الذين سبقوه بجمع دواوين الشعراء فلا نكاد نعرف عنهم شيئاً يذكر فقد غطى عمل الصولي عليهم جميعاً وأخملت شهرته أسماءهم ودواوينهم التي جمعوها . وهذا بعض ما تجنيه شهرة المشهورين على انتاج من خمل ذكره وغاص اسمه في أعماق الزمن .

لقد ذكر ابن النديم ما صنعه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي من اشعار المحدثين على حروف المعجم ولكنه لم يذكرها كلها في مكان واحد بل ذكر أقلها في موضع ونثر الاشارات الاخرى في ثنايا الفهرست ولهذا حاولنا أن نجمع كل ما صنفه الصولي من دواوين لتتم الفائدة وهذه الدواوين هي :

١ - ديوان ابراهيم بن هرمه[٩٢]

---

(٩١) فاجنر مقدمة ديوان ابى نؤاس النشريات الاسلامية القاهرة ١٩٥٨ .

(٩٢) الفهرست ٢٣٣ ويفضل ابن الديم عمل أبى سعيد السكري في هذا الديوان ويقول اما الصوفى فلم « يأت بشيء » فى هذا الديوان .

٢ – ديوان أبي نواس [٩٣]

٣ – ديوان العباس بن الأحنف

٤ – ديوان أبي تمام

٥ – ديوان البحتري

٦ – ديوان علي بن الجهم (صنفه ونشره خليل مردم ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ٥ بدمشق ١٩٤٩)

٧ – ديوان ابن طباطبا العلوي

٨ – ديوان ابراهيم بن العباس الصولي

٩ – ديوان ابن عيينه (محمد بن أبي عيينه)

١٠ – ديوان أبي شراعه

١١ – ديوان ابن الرومي [٩٤]

١٢ – ديوان خالد بن يزيد الكاتب [٩٥]

١٣ – ديوان أبي الشيص [٩٦] محمد بن عبدالله بن زرين

١٤ – ديوان الصنوبري [٩٧]

١٥ – ديوان الخبز ارزي [٩٨]

١٦ – ديوان دعبل الخزاعي [٩٩]

١٧ – ديوان ابن المعتز [١٠٠]

---

(٩٣) الفهرست ٢٣٤ .

(٩٤) نفسه ٢٢٢ .

(٩٥) نفسه ٢٤٢ .

(٩٦) نفسه ٢٢٦ .

(٩٧) نفسه ٢٤٦ .

(٩٨) نفسه ٢٤٦ ويزعم ابن النديم ان هذا الديوان « نحل الى الصولى » والخبزأرزي واسمه نصر بن مأمون من شعراء البصرة المحدثين .

(٩٩) نفسه ٢٣٥ .

(١٠٠) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩٥/١٠ ونزهة الالباء (طبعة بغداد) ١٦١ .

١٨- ديوان مسلم بن الوليد [١٠١]

هذه هي الدواوين التي جمعها وصنفها الصولي على حروف المعجم ، وذكر في مقدماتها وفي أثنائها ملاحظات ونقدات تدل على روح منهجية عالية وقدرة فائقة على التنظيم والتصنيف • ويمكن أن يضاف اليها أشعار أولاد الخلفاء التي ألحقت بكتابة الاوراق[١٠٢] وروي أبو الفرج الاصفهاني القسم الاكبر منها[١٠٣] ثم لقصائد والمقتطفات الكثيرة لبقية الشعراء المحدثين المرويه في كتاب الاغاني أو في كتب المرزباني المتوفرة لدينا كمعجم الشعراء والموشح أو كتبه الاخرى المفقودة • والمرزباني تتلمذ على الصولي وروى عنه وتأثر بطرائقه وأساليبه وآرائه في نقد الشعر ، حتى ليكاد يكون كتاب الموشح من عمل الصولي ،[١٠٤] نفسه كما يقول المستشرق هنبورت دن لأن أكثر المآخذ على الشعراء المحدثين أسندها المرزباني لاستاذه الصولي •

وقد عني بالدواوين آخرون من علماء القرن الرابع ولكنهم بدلا من أن يتموا العمل الذي قام به فيجمعوا دواوين أخرى غير التي جمعها راحوا يعيدون تصنيف بعض الدواوين التي سبق للصولي العمل بها • ومن أشهر هؤلاء علي بن حمزة الاصفهاني وقد ورد اسمه غير مرة في الفهرست وغيره كمصنف لبعض الدواوين • وعلى هذا هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يسار بن عثمان الاصبهاني ويزعم ياقوت نقلا عن حمزة الاصفهاني ان عثمان هذا هو والد أبي مسلم الخراساني وكان اسمه قبل أن يسلم بنداد هرمز فلما أسلم تسمي بعثمان • وكان علي بن حمزة ، أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف ، • شائع ذلك ذائع عنه ، وصنف كتباً منها : كتاب الشعر ، وكتاب فِقَرُ البلغاء يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء ، وكتاب

---

(١٠١) الفهرست ٢٣٤ •
(١٠٢) نشر كتاب الاوراق المستشرق هبورت رن •
(١٠٣) انظر الاغاني (دار الثقافة) ٩/٢٤٦ - ٣١٧ •
(١٠٤) العبارة للمستشرق هبورت دن مقدمة كتاب الاوراق الصفحة ك وانظر ايضا : اخبار البحتري للصولي ومقدمة الناشر الدكتور صالح الاشتر ص ١٧ • دمشق ١٩٥٨ •

قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها وغير ذلك[١٠٥] . ويستطرد ياقوت بعد هذا : قال حمزة في مقدمة كتابه (يقصد حمزة الاصبهاني وكتابه تاريخ أصبهان) : وقد كان رجل من كبار أهل الادب ببلدنا تعاطى عمل كتاب فى هذا الفن (يقصد تاريخ أصبهان) ، وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عمارة وسماه بقلائدالشرف فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات .. الخ . وبعد أن يذكر ياقوت شيئا من شعره يختم ترجمته بقوله : ولعلي بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوابات لجماعة من شعراء أصبهان منهم أبوالحسن بن طباطبا العلوي وغيره ، لم أذكر منها شيئا لطولها ولقلة فائدتها عندي ، وشعره على هذا النمط لا طائل فيه الا أنه عند أهل أصبهان جليل نبيل .

ومع أن اخبار علي بن حمزة قليلة جدا الا أن ابن النديم ذكر اسمه كجامع لديوان أبي نواس وديوان أبي تمام وديوان البحتري بلا تفاصيل أو ايضاحات كافية . ولعل هذا سبب الاشكال حول ديوان أبي نواس الذي يثبت ابن النديم احدى رواياته الى علي بن حمزة الاصبهاني[١٠٦] . ورواية الفهرست تخالف ما جاء فى مخطوطات الديوان التي تنسب الرواية الى حمزة الاصبهاني[١٠٧] . وهو أديب آخر لا صلة له بالاول عدا كونهما من مدينة واحدة . اما عن الدواوين الاخرى التي عملها علي بن حمزة فقد قال ابن النديم عن ابى تمام : « لم يزل شعره غير مؤلف يكون مائتى ورقة الى أيام الصولي فانه عمله على الحروف نحو ثلثمائة ورقة ، وعمله علي بن حمزة الاصفهاني ايضا فجوّد فيه على غير الحروف بل على الانواع »[١٠٨] . وقال عن البحتري « كان شعره على غير الحروف الى أيام الصولي فانه عمله على الحروف . وعمله علي بن حمزة الاصفهاني ايضا

---

(١٠٥) معجم الادباء ١٣/٢٠٥ ـ ٢٠٨ .

(١٠٦) الفهرست ٢٣٤ وأيد هذا ابن خلكان الوفيات ١/٣٧٤ وصاحب خزانة الادب ١/٣١٥ .

(١٠٧) انظر ديوان ابي نؤاس نشر اسكندر آصاف ، القاهرة ١٨٨٤ ونفسه نشر فاخبر القاهرة ١٩٥٨ .

(١٠٨) الفهرست ٢٤١

فجوده على الانواع »[١٠٩] .

وقد تناقلت المصادر المتأخرة خبر تصنيف علي بن حمزة لديوان أبى نواس وديوان أبى تمام[١١٠] وديوان البحتري[١١١] . ولم نجد ذكرا لدواوين أخرى من عمله يمكن اضافتها الى تلك الدواوين الثلاثة وان كنا نرجح انه اهتم بدواوين أخرى كدواوين بعض شعراء أصفهان المشهورين . ولكن قلة أخباره تحول دون الاطلاع على مدى نشاطه فى هذا الباب . فنحن لا نعرف عنه غير ما ذكره ياقوت باختصار حتى انه لم يشر الى تاريخ وفاته . ولم يترجم له الثعالبي فى يتيمة الدهر[١١٢] ولكنه ذكره ضمن شعراء أصفهان كما لم يذكر عنه أبو نعيم الاصفهاني سوى سطرين[١١٣] . ولهذا اختلط أمره بأمر حمزة الاصفهاني الذى نال شهرة واسعة في عصرنا هذا بسبب العثور على بعض كتبه واهتمام المستشرقين به ، وتوفى حمزة بعد سنتي ٣٥٠ ـ ٣٦٠ كما ذكر آدم ميتز[١١٤]، أو ٣٧٠ هـ كما نقل كراوس[١١٥] والمرجح انعلي بن حمزةسبق حمزة الاصفهاني وتوفى قبله بسنين لأن هذا الاخير يشير الى انه سبقه في التأليف في تاريخ أصبهان[١١٦] أضف الى هذا انه كانت له مجاوبات مع ابن طباطبا الشاعر العلوي الاصبهاني المعروف المتوفى سنة ٣٢٢[١١٧] كما ذكرنا فهو اذن من لدانه . ويؤيد

---

(١٠٩) نفسه

(١١٠) وفيات الاعيان ١/٣٣٨ .

(١١١) نفسه ٥/٨٢ وباثوث معجم الادباء ١٩/٢٥١ ومعاهد التنصيص للعباسى ١/٢٤٥ .

(١١٢) يتيمة الدهر ٤/٢٩٩ .

(١١٣) ابو نعيم ذكر اخبار اصبهان (لايدن) ٢/١١ .

(١١٤) آدم ميتز الحضارة الاسلامية ١/٤٥١ .

(١١٥) كراوس مقال « كتاب التنبيه على حدوث التصحيف فى المنتقى للمنجد ١٧٧ » انظر دائرة المعارف (الترجمة العربية) ٨/٩٧ .

(١١٦) معجم الادباء ١٣/٢٠٤ .

(١١٧) انظر مقدمة (عيار الشعر) لابن طباطبا تحقيق طه الحاجري القاهرة ١٩٥٦ والوافى بالوفيات (ديدرنج) ٢/٧٩ .

هذا ان أخ علي بن حمزة وهو محمد بن حمزة توفى سنة ٣٢١ هـ[١١٨] .

وعلى هذا يمكن الافتراض بأن نشاط علي بن حمزة فى تصنيف دواوين الشعر كان حول أواسط القرن الرابع الهجرى وانه توفى فى حدود ذلك الوقت.

نخلص من هذا كله أن حركة تدوين الدواوين وتصنيفها بدأت نشاطها فى أواسط القرن الثاني وركزته آنئذ في جمع الشعر الجاهلى والاسلامي حتى اذا توسط القرن الثالث اتجهت هذه الحركة الى تدوين دواوين المحدثين مستفيدة بما حققته حركة التأليف من تقدم وما طرأ على حياة الادب والنقد من تطور ونضوج . حتى اذا انتهى القرن الثالث ودخلنا فى القرن الرابع استمرت العناية بتدوين دواوين المحدثين وتصنيف شعرهم والاهتمام بنقده وبيان وجوه القوة والضعف فيه . وأدى هذا الى تطور أساليب التبويب والتصنيف فأصبحت أكثر منهجية وتنظيماً بفضل جهود علماء أدباء كان الصولي في طليعتهم النشطة . والواقع ان المئة الثالثة للهجرة كانت مرحلة تطور خطيرة فى حياة الادب تأليفا وتصنيفا ونقدا ، لهذا اهتم الباحثون ولاسيما الذين وجهوا عنايتهم لتاريخ النقد الادبي العربي بالاحداث الادبية الخطيرة التي زخر بها القرن الثالث . ومن هؤلاء الباحثين الذين أدركوا خطورة احداث هذا القرن الاكتور بدوي طبانه فقد كرس كتابه دراسات فى نقد الادب العربي الى بيان التيارات النقدية التي توزع عليها علماء وأدباء المئة الثالثة . وقد ختم بحثه الموفق المذكور بخلاصة ذكر فيها ان القرن الثالث الهجرى كان عصر الجمع والتدوين فى العلوم العربية والاسلامية كما كان مبدأ التأليف فى النقد وتدوينه وذكر انه لم يصل الينا قبل ذلك القرن خبر عن كتاب أو محاولة مكتوبة في النقد فى حين اتسع هذا النقد على أيدى اللغويين والنحاة والعروضيين وغيرهم وازدهرت فنون الادب بصورة عامة[١١٩] .

ولم تكن العناية بتدوين شعر المحدثين وتصنيفه ودراسته ونقده سوى جانب

---

(١١٨) الوافي بالوفيات ٣/٢٥ .

(١١٩) انظر دراسات فى نقد الادب العربى من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث للدكتور بدوى طبانة .

من الحياة الادبية التي ازدهرت ازدهارا عظيما خلال القرنين الثالث والرابع • ولكن الذى يحز في نفوسنا كما ذكرنا مرارا أن صروف الدهر عصفت بذلك الانتاج التدويني العظيم ولم يبق لنا منه الا النزر اليسير متمثلا في بضعة دواوين وصلت الينا في نسخ متأخرة كتبت بعد ذلك بزمن طويل • ولهذا يندر أن نجد مخطوطا يرجع تاريخه الى القرن الثالث أو الرابع الهجريين • أضف الى هذا ان الدواوين التي وصلت تحفل بمشاكل عديدة أشار الى بعضها المحققون وبقى أكثرها ينتظر دراسة تحقيقية شاملة • وهذا ما سنحاول القيام به فى البحث القادم بعون الله •

علي أحمد الزبيدي

(للبحث صلة)